1866
AUB
American University of Beirut
الجامعة الأميركية في بيروت

Issam Fares Institute for Public Policy
and International Affairs

الشباب في العالم العربي

حزيران ٢٠١٠

ورقة خلفية

الشباب البحريني والهوية

فاطمة علي

بدعم من:

معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة الأميركية في بيروت

منظمة الأمم المتحدة للطفولة – اليونيسف

معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية
الجامعة الاميريكية في بيروت

الشباب في العالم العربي

ورقة خلفية | حزيران ٢٠١٠

الشباب البحريني والهوية

برنامج الشباب في العالم العربي يشغّل ٣٠ استاذ في الجامعة الأميركية في بيروت ركيزة برنامج الشباب في العالم العربي، الذي يؤدي دوره كمركز التقاء ومحفز ومخزن رئيسي للأبحاث والسياسيات العامة العربية والدولية المتعلّقة بالشباب العربي.

فاطمة علي

رامي خوري — مدير معهد عصام فارس
د. كريم مقدسي — مدير مشارك للمعهد
سارة بيطار — منسقة البرنامج
ربيع محمصاني — مدير الإعلام
دونا راجح — المصمم الفني

سلسلة الأوراق الخلفية

تتضمّن هذه السلسلة أوراق ونصوص تحليلية تمّت كتابتها خلال عملية استشارية قام بها المكتب الإقليمي لليونيسف (منطقة الشرق الأوسط وشمال إفريقيا) ومعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة الأميركية في بيروت بين عامي 2009-2011 . وهدفت هذه الاستشارات إلى جمع المعلومات والبحث في المحاور التي يستعرضها ويناقشها تقرير "جيل التغيير: واقع الشباب العربي بين التطلعات والتحديات".

تناقش الأوراق الخلفية القضايا المطروحة في فصول التقرير أو تقدّم تحليل حالة موجز عن دولة محدّدة. وتتضمّن المنهجيات البحثية المستخدمة: مراجعة الأدبيات، مسح كميّ، مقابلة نوعية، مجموعة التركيز بالإضافة إلى الرصد من خلال المشاركة.

الأوراق الخلفية متوفّرة على الموقع الإلكتروني لمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة الأميركية في بيروت: www.aub.edu.lb/ifi

إن المعلومات والآراء الواردة في هذه الورقة لا تمثّل الرأي الرسمي لمعهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة الأميركية في بيروت. تقع مسؤولية المعلومات والآراء المعبّر عنها على عاتق الكاتب.

قدّمت هذه الورقة في شهر حزيران– يونيو 2010.

© معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية – الجامعة الأميركية في بيروت ، ٢٠١١. جميع الحقوق محفوظة.

المحتويات

المقدمة ٥
في مدار النظرية ٦
سطوة الهويات القديمة ٧
عن الانتماء الوطني ٨
هويات متذبذبة ٨
خصوصيّات دالّة ١٠
المراجع ١٢

المقدمة

في عامنا هذا (2010) يكمل مصطلح "الهوية" ستين عاماً منذ بدء المحاولات الأولى لتوظيفه في المجال التداولي كمصطلح يدلّ على نوع من فهم الخصوصية لدى الفرد عن نفسه أو الجماعة عن نفسها في مقابل خصوصية الآخر (أبيه، 2004،صفحة 65). غير أن اللافت أن كل هذا الوقت لم يكن كفيلاً بمعالجة الغموض الذي يشوب مسألة الهوية ومعانيها المختلفة.

وإذا كان خطاب الهوية قد شغل العالم الغربي منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية فإن العالم العربي لم ينشغل بهذا الخطاب إلا حديثا، أو فلنقل فقد غزت خطابات الهوية المكتبة العربية، بدءا من التسعينات وحتى الألفينات غزوا، حيث جرى التسويق لصعود خطاب العولمة وإرهاصاته، وبموازاة منه خطاب الهويات وقضاياه[1]. إن ذلك يعطينا ما من شك لمحة، ولو اعتباطية، عما نتحدث عنه، أي طغيان التفكير في الهوية، بوصفها إحدى الموضوعات التي غدت ملحة، وراهنة.

دون أن نوغل في التعريفات المتعددة للهوية سنعتمد في مقاربتنا هذه على التعريف القائل إنها «التصوّر الذي يكوّنه الفرد أو الجماعة عن خصوصيتهما وقيمهما الخاصة» (رينو، 2005). التصوّر بشأن من يكون الفرد وتكون الجماعة وما الذي يميّزه ويميّزها عن باقي الأفراد أو الجماعات وكيف ينعكس هذا التميّز على مكوّنات مثل الإثنية، الإنتماء، اللّغة واللّبس، بل حتى الكتب التي يقرأ وما يسمع من موسيقى. ضمن أفق هذا الفهم سنسجّل ملاحظات ولقطات سريعة عن كيفية تمثّل هذه المكوّنات، أو بعضها، لدى أكثر الفئات العمرية تحسّساً لمفاعيلها، وتغيّرا وديناميكية. نعني فئة الشباب، البحريني منه تحديداً.

سنعمل من خلال آليتيّ الإستطلاع واللقاءات الشخصية على تلمّس مواقف الشباب حيال عدد من المفاهيم والقضايا والمواقف المتصلة بالهوية، حيث يمكن من خلالها، كما سنجد في ثنايا هذه الدراسة، التعرّف على معالم الهوية الأبرز، أو إذا صح سلّة الهوايات التي تتفاعل داخل شخصية الشاب (ة) البحريني (ة) اليوم. في الآلية الأولى، الإستطلاع، سنبني جانباً من النتائج على دراسة لجمعية ملتقى الشباب البحريني أعدّتها في العام 2009 عن اتجاهات الشباب في البحرين وكنت شخصياً واحدة من بين المشرفات عليها. وفي الآلية الثانية سأعتمد على اللقاءات الشخصية التي أجريتها مع عدد من الشباب ضمن مجموعات مشتركة بغرض هذه الدراسة.

---

١ من هذه العناوين: «القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة"، عبداللّه الغذامي، 2009. "الهوية والسرد، دراسات في النظرية والنقد الثقافي"، نادر كاظم، 2006. "من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية"، صموئيل أنتنغتون، 2005. "الهوية: من أجل حوار بين الثقافات"، مجموعة من الباحثين، إشراف نادية التازي، 2005. "جدل الهويات: قضايا الأكراد والسريان والتركمان واليزيدية في العراق وسوريا"، سليم مطر، 2003. "محنة الهوية: مسارات البناء وتحولات الرؤية"، رسول محمد رسول، 2002. "الهوية والزمان، تأويلات فينومينولوجية لمسألة "النحن"، فتحي مسكيني، 2001. "هويات متغيرة في عالم مضطرب: تحدي الجيل الجديد في السعودية"، مي يماني، 2001. "الهويات القاتلة"، أمين معلوف، 1999. "خطاب الهوية: سيرة فكرية"، علي حرب، 1996.

في مدار النظرية

أدافع في هذه الدراسة عن أنه ليس هناك تصوّر واحد للشاب (ة) البحريني (ة) عند التعريف بهويته (ا) إنما تتصارع لديه (ا) عدة تصورات، تختلف باختلاف الموقف المواجه. وأظهرت المقابلات حجم الصعوبة التي يواجهها الشباب في التعريف عن هوياتهم بالرجوع إلى هوية واحدة شاملة. وهو ما يؤكد وجهة النظر التي يطرحها صموئيل هنتنغتون من أنّ اختلاف موقف الفرد يؤدي إلى اختلاف في نظرته إلى هويته فالباحثة الإجتماعية تنظر إلى نفسها فيما لو كانت بين سبعة رجال على إنها امرأة، وتنظر لنفسها بين مجموعة أخرى من النساء على أنها باحثة اجتماعية وينتج عن ذلك ما يمكن لمسه من إزدواجية تقترب من التناقض (الجزائري، 2005)، حيث يبدو مكوّن ما من مكوّنات الهوية هو المعرِّف الأشمل لدى الشاب (ة) في موقف معين، في حين قد يتراجع هذا المكوّن إلى مرتبة ثانية أو ثالثة، لدى نفس الشاب (ة) عند تعرّضه (ا) لموقف آخر، ويحلّ مكانه آخر بديل.

ففي لحظة معينة، يمكن أن يصبح الدين هو المعرف الأشمل، وهو ما عايناه بشكل جلي من خلال اللقاءات. لكن لدى الإسترسال في أسئلة ذات علاقة، وجدنا أن الدين يتراجع أمام المكوّن العائلي. ويغدو الأخير، هو المعرف الأشمل. وهو ما سنتعرف عليه بشكل مفصل لدى عرض نتائج الدراسة فيما سيلي من أسطر.

وأنتجت ثورة الاتصالات شباباً ذات هوية متذبذبة تبعاً لاختلاف الرسائل الإعلامية المتدفقة، ووسائلها. فالشاب (ة) البحريني (ة) مثله (ا) مثل أي شاب (ة) اليوم يتعرض لآلاف الرسائل المتنوعة والمتناقضة في الوقت ذاته، من مصادر متعددة، تشمل وسائل الإعلام الجماهيرية وخدمات التشبيك الاجتماعي على الإنترنت، ووسائط الاتصال المختلفة. وتتفاعل هذه الرسائل لتشكل جملة من الانحيازات والمحذورات، تؤلف بتفاعلها شكلاً هجيناً من أشكال الهوية، هو ما ندعوه بـ»المتذبذب». وذلك لخضوعه لمؤثرات آنية، غير طويلة الأمد، ومعرضة للاستبدال الدائم، من دون أن تفرض على الشاب أية التزامات حيالها.

سطوة الهويات القديمة

شـــهد العقدان الأخيران عودة قوية إلى الهويات القديمـــة، الصلبة، في المجتمع، كالدين والقبيلة والعشـــيرة والعائلة. في قبال تراجع الهويات الموسومة بالحديثة كالوطنية والقومية. بل أن ناقداً سعودياً وهو عبدالله الغذامي عدّ ذلك من سمات الزمن ما بعد الحداثي الذي نعاصره.

ومن جانب آخر، فقد أكدت نتائج دراسة جمعية ملتقى شباب البحرين مركزية الموقع الذي يحتله المكوّن الديني في حياة الشـــباب (ة) البحريني (ة)، وتفـــوق حضوره على مختلف المكوّنات الأخرى. وقـــد علّق حوالي 45 % ممن اســـتطلعت آراؤهم بأن الدين والعقيدة يقعان في المرتبة الأولى بالنسبة إلى الموضوعات ذات الأولوية لديهم. من دون أن تعني هذه النسبة طبعاً التزاماً "تزمتياً" بأوامر الدين ونواهيه. إنما يحضر في هيئة محدد من محددات الهوية الثقافية ليس إلا.

وعلى ما أفادت به الدراسة نفســـها في تفريع على السؤال الســـابق، فإن 11 % فقط هم من عرفوا أنفسهم بأنهم ملتزمون دينياً بدرجة كبيرة. في حين قال 83 % إنهم ملتزمـــون إلى حد ما و6 % من غير الملتزمين أبدا. ما يؤكد أن حضور الدين المكثف، إنما يحدث في أشكال التعبير عن الهوية، وفي رموزها وأيقوناتها المتخذة وسيلة للتعبير عن الذات في قبال ذات الآخر، أكثر مما هو التزام شمولي به.

وهـــذه واحدة من الخلاصات المهمة، ففي حين أن هذا القرن هو قرن الهوية، غير أنه أيضاً، قرن الهوية الدينية غير "المكتملة". حيث نتحدث ها هنا عن هوية بها فجوات، وليســـت هوية محكمة. عن شباب لا يرى غضاضة في تعريف نفسه من خلال مكوّن صلب وهو الدين، وفي الوقت نفسه لديه القابلية لأن يقوم، ببساطة، بخرق هذا المكوّن عبر فن الإقبال على الحياة ولذائذها.

ولا يكاد يوازي الدين في كثافة حضوره، إلا المكوّن العائلي، وهو أيضاً مكوّن قديم ولا علاقة له بأية نزعة حداثية. وبيّنت اللقاءات التي أجريناها مع مجموعة من الشباب أنهم يعتبرون عائلاتهم هي الانتماء الرئيس الذي يستندون إليه للتعريف عن هويتهم، يلي ذلك الوطن فالديانة والعقيدة. وليس من غرابة هنا أن يتراجع الدين قليلاً عن الصدارة التي منحناها إياه في الأســـطر الســـابقة، كوننا لا نتحدث عن هوية محكمة التشكل، كما سبق وأشرنا إلى ذلك، لذا فنحن باستمرار سنجد تناقضاً في الإجابة.

ففي معرض الســـؤال المجرّد قد يكون الوطن يحتلّ مرتبة الصدارة عند شاب (ة) معين (ة)، وهو ما لحظناه، لكن حين فك هذا التجريد بوضعه في ســـياقات أكثر واقعية، كما لو حصل وتعرضت عائلته (ا) أو عشيرته (ا) إلى حدث مأســـوي من نوع خاص، هنا ما من شك، ســـنلحظ أن الوطن يتراجع، وتحل محلّه العائلة موضع الامتحان والمحنة. وبدت الشابات أكثر التصاقاً بالقيم العائلية من الشـــباب، في حين يأتي التصاق الأخيرون بالقيم الدينية أكثر. وهو الأمر الذي يمكن أن يفتحنا على مســـتوىً آخر من التحليل يرتبط بقضايا "الجنوسة" أو النوع الاجتماعي. فالفتيات عبّرن من خلال الإســـتطلاع عن انتماء واســـتعداد للتضحية من أجل العائلة أكبر من الفتيـــان ، كما أنهن يتمتعن بتســـامح ديني أكثر حيال إقامة صداقات مع ديانات أخرى مغايرة إلا إن الفروقات التي أوصلتنا لهذه النتيجة حول موقف الجنسين ليست كبيرة جدا ولا تتعدى في معظمها الـــ 5 % ما يعكس تجانساً نسبياً في مواقف الشباب بغض النظر عن الجندر الذي ينتمون إليه.

لكن هذا التســـامح ينتهي عند مسألة الزواج، فهنا تكشـــف إجاباتهن عن نوع من الحذر. في حين يقلّ هذا الحذر لدى الذكور، فيظهر هؤلاء أكثر تسامحاً. وهذا ليس تناقضاً كما قد يبدو للوهلة، إنما يتصل بالثقافة حيث له جذور في الشريعة الإسلامية التي تعطي الأولوية للزيجات من الأديان الأخرى للذكور على أساس وجود إمكانية لأن تدين الزوجة بدين الزوج. في حين أن العكس لا يحدث، أو ربما ندر. ما يمكن أن يفسر ذلك لماذا يبدو الشباب أكثر تسامحاً من الشابات في المسائل المتعلقة بالزواج.

عن الانتماء الوطني

من دون شـــك فإن صعوداً في منســـوب حضور الهويات الفرعية القديمة التي تقوم على الدين أو القرابة والرابطة الدموية، لا بد من أن يرتد بالناقص في حساب الهوية الوطنية! وفي حين أن هذه الأخيرة لا تعني إلغاءاً حدياً للدين أو العائلة أو العرق، كما تؤكد كثير من الأدبيات السياسية المعاصرة، إلا أنها في الأقل تحوز على نوع من السموّ عليها. ونظراً لكونها هوية ديمقراطية، فهي تتمتع بخاصية «اســـتيعابية» لها. والعكس ليس صحيح طبعاً. فالدين أو العرق أو العائلة لا يمكن لأي من هذه المكوّنات أن يستوعب فكرة المواطنة.

والحال، فهذا ما تم التوصل إليه بالدراســـة في محاولة لقياس مؤشر الفخر الوطني. فبإزاء اكتساح الدين، وتشفير رموزه، لكافة مناحي حياة الشـــاب (ة) البحريني (ة) المعاصر (ة)، تجري ترجمة ذلك عكســـياً على مستوى الهوية الوطنية. وقد عبر 67% ممن اســـتطلعت آراؤهم رداً على ســـؤال "هل أنت فخور بهويتك البحرينية؟" عن أن الهوية البحرينية لا تهمهم في شيء. وذلك في قبال 24% أجابوا بـــ(نعم).

وطبعاً، يتناقض ذلك، مع إجاباتهم حيال أســـئلة أخرى، كتلك الذي تتوجه لتقصي آراءهم بشـــأن الانتماء الأبرز الذي يمكن أن يضحوا لأجله. وقد علق أكثريتهم، بأن الانتماء للوطن هو الأولى بالتضحية، يلي ذلك الدين فالعائلة. في حين بدا ميل الفئات الشبابية الأكثر تقدّماً في السن إلى إختلاق هوية إنطلاقاً من عنصر المهنة. وهو الشيء الذي أبدوا حرصاً على الالتزام به والتفدية لأجله من دون أي من الانتماءات الأخرى.

وعلى خلاف كل هؤلاء، ظهر الشـــباب البحريني في المهجر. حيث اختار هؤلاء، الهوية البحرينية، باعتبارها أبرز وعاء للانتماء يمكن أن يلتزموا به، أبرز حتى من الدين والعائلة. وهو شيء يمكن تفهمه تماماً من جراء أجواء البعد عن البلد الأم. وقد ســـبق لأنتنغتون أن لاحظ أنه "تتعزز ســـمة هوية الناس الهامة مـــع أرض وطنهم نمطيا عندما يسافرون إلى الخارج ويلاحظون طرق حياة الأجانب الغربية" (هنتنغتون، 2005، صفحة 40).

هويات متذبذبة

هل تشعر أنك لا تعرف ذاتك الحقيقية؟ هل لا زلت غير متأكد من دورك في الحياة؟ هذان سؤالان طرحهما إيريك أريكسون، مفترضاً أن الإجابة على كلا السؤالين بـــ(نعم) تعني أن المجيب يعاني من أزمة هوية. ونميل إلى الاعتقاد أن أكثر الفئات العمرية استجابة إلى المعنى الضمني الذي يشتغل في هذه الفرضية هي فئة الشباب المراهق خصوصاً. ذلك أن التغيرات الفسيولوجية السريعة التي تحصل في فترة المراهقة تتزامن معها تغييرات أخرى، فكرية، تتكشف تدرجيـــاً في عمليات البحث عن الذات وتنامي نزعة الإنتماء إلى جماعة ما والخروج عن وصاية الأهل. وكذلك بداية الصـــراع على تعريف الأنا (Ego Identity) التي قد يرغب المراهق (ة) بأن يكونها وبين ما يُمكن أن يفرض عليه (ا) أو يُتوقَّع منه (ا) من قبل المجتمع الخارجي.

في هـــذه الفترة بالذات يتنامى دور البيئة المحيط والعوامل الخارجية في تشـــكيل هوية المراهق (ة) المتذبذبة، بحسب الظروف والمواقف والأشخاص. فإذا ما صحت نسبة كل هذه الأسئلة المستخلصة من عمليات "التغييرات الفكرية" التي تزامن التغييرات الفســـيولوجية، وهي جميعها ترتبط في شكل وآخر بـــ"معرفة الذات" و"الدور في الحياة" فإننا نكون حتماً أمام الأزمة التي تحدث عنها أريكســـون. كما لو كان المراهق (ة) منا، يبدأ حياته (ا) بأزمة في الهوية من هذا النوع الذي نتحدث عنه، ســـرعان ما يعثر لها على حل عبر حسم عمليات الانتماء، مع التقدم في الزمن، أو ربما لا يعثر، وهنا تظل الأزمة ماكثة. وهو ما نعتقده في الواقع، أي اســـتمرار الأزمة هذه، عند الانتقال إلى تحديد شخصية شاب (ة) مراهق (ة) يتشكل في عصرنا الحديث الراهن. خصوصاً مع دخول لاعب جديد، وهي أجهزة الإعلام الجماهيرية والشبكات الاجتماعية في عالم الانترنت في تحديد مساراته (ا) واتجاهاته (ا) الفكرية وأنماط حياته (ا) المتبعة.

فنتيجة للتأثير الطاغي للتكنولوجيا على ممارســـات هذه الفئة العمرية، أو جيل الشـــباب الحديث المعاصر، فإن ســـرعة التغييرات في الثورة التكنولوجية لها انعكاســـاتها أيضا عليه، أبرزها ربما أنها تتدخل في صوغ شكل هويته اعتماداً على هذا المعطى، أي التغير والســـرعة وحتى الانقلابية. الأمر الذي يجعل من عملية فهم ومتابعة توجهات هذا الجيل عملية أشبه بالمستحيلة. وهي الملاحظة التي وجدناها تتكرر لدى فئات الشباب الأكبر عمراً، وخصوصاً أولئك المنخرطين في تنظيمات العمل الشبابي، لدى ســـؤالهم عن الجيل الشاب الطالع، الأحدث منهم سناً، فقد صرح بعضهم بما مفاده "لم نعد نفهم هؤلاء المراهقين ولا الذي يقومون به وكيف نتعامل معهم"[٢].

كل هذه المعطيات تدعونا إلى الحديث عن «هوية متذبذبة» عند وصف حد الهوية الذي يحد شـــخصية الشـــاب (ة) المعاصر (ة). هي متذبذبة لأنها تتشـــكل في الزمن، وتعيد تشـــكيل نفسها مرة بعد مرة، وفقاً لإملاءات العصر والتكنولوجيا والسرعة. وهي في الوقت نفسه، لا تمانع من أن تخالط بعضاً من مكوّنات الهويات القديمة التي تتسم بنوع من الأصالة والثبات. فتجد اليوم شاباً (ة) حداثياً (ة) بالمعنى الذي قد يُفهم من جراء التمتع بفرص الإبحار في عالم الشبكات، والتقانة بأنواعها، وما قد يصاحب ذلك من تغييرات على مستوى الأفكار والثقافة، لكن في الوقت نفسه هو أو هي عشائري (ة) يميل إلى الفخر بأسرته (ا)، أو متمذهب (ة) يمحض الولاء إلى طائفته (ا) قبل أي شيء.

وربما كانت انتخابات مجلس الطلبة في جامعة البحرين، وهي الجامعة الوطنية التي تضم أكثرية الطلبة الدارسين، من أكثر الأمثلة التي يمكن الاستشهاد بها تدليلاً على ما نعده «هوية متذبذبة». إذ يتقدم الشاب (ة) للترشح باسم قائمة طلابية محسوبة على تيار ديني وفي العام الذي يليه يترشح الشاب (ة) نفسه باسم قائمة طلابية محسوبة على اليسار. وهذا هو الحال لدى معظم الناشطين الشبابيين الذين غيروا انتماءاتهم من المؤسسات الدينية إلى اليسارية لما توفره الأخيرة من اهتمام أكثر بالشباب والطلبة إضافة إلى الحرص على بنائهم الفكري والايديولوجي.

وثمة نعوت كثيرة يتم استخدامها لوصف هذا الجيل، الكبار ينعتونه جيل MBC4 مقابل جيل MTV وهي التسمية الغربية لنفس الفئة العمرية. وذلك نســـبة إلى القنوات الفضائية التي تحصد أكثر نسبة متابعة من قبل هذا الجيل. كما تشمل "ليستة" النعوت أيضاً: الجيل القادم (Generation Next)، وكذلك جيل الإنترنت (Net Generation) إضافة إلى نعوت أخرى كثيرة.

يتســـم هذا الجيل بشكل عام بكثرة اســـتخدامه لأجهزة الاتصال والإعلام والتقنيات التكنولوجية الحديثة من خلال استخدام الانترنت مثل البريد الإلكتروني، والرسائل النصية القصيرة، ومواقع كيوتيوب (Youtube) ومواقع الشـــبكات الاجتماعية كالفيســـبوك (Facebook) وماي سبيس (MySpace). كما يســـتقي هذا الجيل المعلومة عبرالبحث في غوغل (Google) وويكيبيديا (Wikipedia) (أرمور، 2005).

---

٢ ناشطة شبابية (23 سنة) تشارك في تنظيم مخيمات للناشئة.

خصوصيّات دالّة

إذا كانت الهوية ليست سوى تصور لدى الفرد عن ذاته والعالم من حوله وعن خصوصيته وسط هذا العالم، فإننا نعد مجموعة انحيازات الفرد، وأذواقه، تجاه مسائل مثل الزي، الموسيقى والإقبال على اللغات بمثابة موضوعات للخصوصية.

إن صورة امرأة ترتدي حجاباً يمكن أن تفتحنا مباشرة على خصوصية الهوية التي تتمثل. كذلك بالنسبة إلى كيفية عقد الحجاب وإحكامه على فروة الرأس يمكن أن تضعنا أمام احتمالات بشأن خصوصيات أخرى تتعلق بالهويات الأشد صغراً التي قد تشكل موضوعات انتماء أكثر تحديداً بالنسبة إلى مرتديته داخل الهوية الأم. لكن ماذا لو لم يكن الحجاب سوى موضوع اجتماعي لا أكثر أو أقل، أي ليس بالضرورة معبراً عن انتماء ديني حقيقي بل يتم ارتداؤه لأغراض اجتماعية ليس إلا!؟

لقد عبرت معظم الفتيات اللائي قمنا باستجوابهن عن لبسهن للعباية أحيانا أو دائما لأسباب اجتماعية وليست لأية أغراض تتعلق بالدين أو براز انتمائهن للهوية البحرينية. بينما عزا الشباب سبب ارتدائهم للزي التقليدي في بلدان الخليج متمثلاً في الثوب والشماغ إلى أسباب أخرى يتعلق بعضها بضرورات العمل أو لإخفاء معالم الجسد وأسباب أخرى ليست مرتبطة دائما بالرغبة بالإلتزام بالموروث الاجتماعي. وثمة انطباع سائد، تؤكده الملاحظة المتكررة، عن وجود رابطة خفية بين نوع التخصص الجامعي وأشكال الزي الملبوس، فيما يتعلق بطلبة وطالبات الجامعة الوطنية. إذ تتميز كلية إدارة الأعمال بالتزام الدارسين فيها اتباع صرعات الموضة والانفتاح في اللبس تحت تأثير النمط الغربي. بينما يجنح رفاقهم في كلية الآداب إلى التزام الزي التقليدي، كالتزام الفتيات على وجه الخصوص بالعباءة ونسبة لا بأس بها من الشباب بالثوب.

استثناء هؤلاء فرع الأدب الانجليزي والدراسات الأميركية، حيث يميل طلبته وطالباته، إلى نوع من اللبس أكثر حرية وتحرراً سواء بسواء. أما بالنسبة لطلبة وطالبات كلية القانون وكذلك التربية والآداب فهم أكثر الشباب محافظة على الزي التقليدي الذي يميل احيانا إلى الطابع البدوي المتأثر بصرعات الموضة المتبعة في الدول الخليجية المجاورة كالسعودية وقطر والكويت والإمارات.

في الواقع، إننا نميل في ربط هذه الظاهرة بالخلفية الاجتماعية. فأغلبية الدارسين في كليات إدارات الأعمال، والدراسات الأميركية، يتحدرون من خلفيات اجتماعية إما برجوازية أو متوسطة اقتصادياً. وكثير منهم أتى من مدارس خاصة أو أجنبية، ويتقن اللغة الإنجليزية، اللغة المعتمدة للدراسة في تفريعات هذه الكلية. ومن الطبيعي أن ينعكس ذلك على طبيعة الزي فيما نعرف من خلال الدراسات الاجتماعية عن ميل هذه الطبقات إلى الانفتاح والإقبال على الحياة وفي المقابل يأتي السواد الأعظم من الدارسين في كليات الآداب والتربية والفنون من خلفيات اجتماعية فقيرة، وأغلبهم أنهى التحصيل المدرسي من المدارس الحكومية ضعيفة التأسيس على مستوى اللغات الأجنبية. ما يناسب جداً طبيعة هذه التخصصات التي تعتمد العربية في بناء مناهجها.

إن ما يجري على الزي يمكن أن يجري على الموسيقى أيضاً، فقد وجدنا أن الشباب المتحدر من خلفيات محافظة يقتصر في سماعه للموسيقى على الكلاسيكية والرومانسية. على اعتبار وجود موقف ديني أقل تساهلاً مع هذا النوع من الموسيقى فلا يجري عليها التحريم الكامل "شريطة عدم مناسبتها مجالس أهل اللهو"، وهي عبارة تتردد كثيراً في الفتاوى الدينية المجيزة لها (محمد حسين فضل اللّه في حوار مع إيلاف، 2006) كما على لسان المؤيدين لهذا اللون. فيما يتجه الشباب "المودرن" أو المتخفف من أشكال المحافظة إلى سماع موسيقى وأغاني البوب الأجنبية والروك والجاز خصوصا للفئات الشبابية الأقل عمرا.

لا يوجد تفاوت كبير بين تفضيل الشـــباب للّغة العربية في الســـلوك اليومي على اللّغة الإنجليزية إلا أن معظمهم أقرّ بإستخدام اللّغتين بحسب الحاجة والضرورة دون تفضيلٍ واحدة على أخرى. أما بالنسبة للفئات الشبابية الأقلّ عمراً فإن مسألة اســـتخدامهم للغة الانجليزية تحدثاً وكتابةً باتت تشكّل ظاهرة كبيرة يمكن ملاحظتها في أماكن تجمعّ الشباب في العالم الواقعي وفي العالم الإفتراضي كالشبكات الاجتماعية، وهو أمر يجد الشباب الأكبر عمرا صعوبة في تفسيره والتعامل معه.

ويلحظ في ســـياق متصل، في الوســـط الجامعي خصوصاً كما في بعض المؤسســـات الحكومية من دون غيرها، بروز ما يمكن عدّه "إقلاباً لهجياً" لدى بعض الشـــباب. فيما يمكن أن يجسّـــده الميل لاســـتخدام لهجة بديلة عن لهجته الأمّ اللصيقة بتكوينه الأوّل. فبعض الشـــباب المتحدر من الريف يجنح إلى اســـتخدام اللّهجة المدينية عند التحدث والتواصل مع الآخرين على اعتبار أنّ لهجة أهل المدن هي لهجة القوة المحفوظة والمصانة مؤسســـياً. في قبال ذلك يسود وسط بعض الشباب المتحدّر من خلفيات مدينية اســـتخدام اللّهجة البدوية، وهي ظاهرة جديدة جـــرت ملاحظتها في خلال الفترات الأخيرة، وذلك تأثّراً – وفق ما صرّح غير واحد (ة) ممن إلتقيناهم من الشـــباب – بمسابقات الشـــعر النبطي التي تتنامى ظاهرتها على عدد من الفضائيات الخليجية. نذكر من ذلك مثالاً لا حصراً برنامج "شـــاعر المليون" الذي يُعرض على قناة أبوظبي والذي حازعلى أعلى نســـبة مشـــاهدة[٣] بالإضافة لمسابقة «نجم القصيد» على قناة النجوم ونتيجة لدعم هذه المســـابقات من قبل شخصيات رفيعة المستوى تحظى بمكانة اجتماعية واقتصادية وسياسية مؤثرة.

٣ راجع موقع ألأوان http://www.awan.com/pages/last/53812
وتايمز أونلاين http://www.timesonline.co.uk/tol/news/world/middle_east/article3463116.ece

المراجع

أرمور، أ (11، 2005 أغسطس). Generation Y: They›ve arrived at work with a new attitude. يو أس أي توداي - USA Today -. http://www.usatoday.com/money/workplace/2005-11-06-gen-y_x.htm

الجزائري، م. (2005، 9 أبريل). المنامة.. عاصمة التناقضات الشبابية. الشرق الأوسط، العدد 9629.

رينو، إ (2005). الهوية: من أجل حوار بين الثقافات (دراسة منشورة ضمن سلسلة مفاهيم عالمية). إشراف نادية تازي، تر: عبد القادر قنيني، ط 1/ المركز الثقافي العربي.

أبيه، ك. (2004) The Ethics of Identity. مطبوعات جامعة برينستون.

مجلة إيلاف (2006، 2 يونيو). محمد حسين فضل اللّه في حوار مع إيلاف: صوت المرأة ليس عورةً والغناء ليس محرماً. http://arabic.bayynat.org.lb/nachatat/ilaf22062006.htm

هنتنغتون، ص. (2005). من نحن؟ التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية. تر: حسام الدين خضوم، ط 1/، دار الرأي للنشر.

معهد عصام فارس للسياسات العامة والشؤون الدولية
الجامعة الأميركية في بيروت
صندوق بريد ٠٢٣٦-١١، رياض الصلح ٢٠٢٠-١١٠٧، بيروت، لبنان
هاتف: ٣٥٠٠٠٠-٣-٩٦١ مقسم: ٤١٥٠ | فاكس: ٧٣٧٦٢٧-١-٩٦١ | البريد الالكتروني: ifi@aub.edu.lb | الصفحة الالكتروني: www.aub.edu.lb/ifi